قصة السرطان

بقلم الدكتور منذر الدقاق

قد يكون اهم ما يجدر معرفته عن السرطان انه لا يظهر لدى كل من يشكو من علة .. فعلى الرغم من وجوده وانتشاره فما زال نادرا بالنسبة للامراض الاخرى . واذا كان الناس يخشون الان كثرته فلانهم يسمعون به كثيرا في السنوات الاخيرة .. ولقد كان موجودا من قبل .. انما لم يكن معروفا وقد كان صعب التشخيص غالبا .. ومنذ ان تطور الطب الحديث ، وقدم الكثير من وسائل واصول التشخيص ، عرف الاطباء الكثير عن هذا المرض واصبحت معرفته امرا ميسورا .. فتنبه الناس لهذا التطور الطبي ، واثار انتباههم الدائم واهتمامهم المخيف .

والسرطان يعني نموا غير منتظم في خلايا جسم الانسان والخلايا الطبيعية تتأثر بانتظام وفقا لقواعد غريزية .. اما في السرطان فيجري تكاثرها بشكل سريع وفوضوي خلال جسم الانسان . والطب يعرف اكثر من ثلاثمائة نوع من السرطان ولكل نوع خلاياه الخاصة . وقد يتساءل الناس عن الفرق بين الورم والسرطان ..؟

اما الورم فهو عبارة عن كتلة نامية من الخلايا في احد اطراف الجسم . فاذا كان هذا النمو في الخلايا على شكل غير منتظم وفوضوي .. كان الورم خبيثا أي سرطانيا .. واذا كان هذا النمو في الخلايا على شكل منتظم وغريزي ، كان الورم سليما . ويجب ان نعرف جيدا ان الاورام السليمة قد تتحول الى اورام خبيثة .. لذلك كانت معالجة الورم السليم في طوره الاول قد تعني الوقاية من سرطان مقبل!

وتكاد الاوساط الطبية تجمع على ان السرطان ليس وراثيا الا ان الاستعداد للسرطان قد يكون وراثيا ، لذلك فان كثيرا من الاطباء يدعون كل عائلة ظهرت فيها حادثة سرطان الى مراقبة طبية دقيقة .

واذا كانت بعض المراجع الطبية تذكر ثلاثة اشقاء اصيبوا على التوالي بسرطان المعدة فانه لا يوجد اي اساس علمي للخوف من السرطان اذا ما اصيب به افراد العائلة.

ويندر السرطان لدى الاطفال ويقل لدى الفتيان والفتيات ويكثر لدى المسنين والشيوخ. وهو ما يفسر لنا التطور في خلايا ونسج الانسان مع تقدم العمر . ويصيب السرطان الرجال والنساء على السواء . وليس السرطان من الامراض ذات العدوى ولا ينتقل من شخص لآخر كأكثر الامراض الانتانية .

والوقاية من السرطان قضية صحية اجتماعية تعني التفكير به واستقصاءه من علاماته الاولى لتدارك عواقبه الخطرة ، فاذا ما تم تشخيصه باكرا ، امكن الخلاص منه في كثير من الحالات وفي بعض المراكز الطبية الاميركية ، يعمل على فحص الافراد الذين تخطوا سن الاربعين مرتين في كل سنة ساعين وراء استقصاء العلة في دورها الاول ..

وما زال الادب الطبي يبحث عن سبب السرطان ، وما زالت النظريات الطبية تتزاحم مع الواقع الطبي ، ومن المؤكد انه لا يوجد سبب واحد للسرطان بل له عدة اسباب ... واول النظريات ، النظرية الجرثومية التي يزداد انصارها يوما بعد يوم وهي ترى ان السرطان مرض جرثومي ناشيء عن جرثومة متناهية في الصغر سميت بـ Virus تدخل الخلية نتيجة عوامل مساعدة لتدرك نواتها فتخربها وتخرب بتوالدها انسجة جسم الانسان . اما دور العوامل المساعدة، فهو اضعاف غشاء الخلية وبذلك يسهل على الجرثوم الصغير ان يدخل الى صميم الخلية غازيا .. ومن هذه العوامل المساعدة التسممات المزمنة كالتدخين ... واضطراب وظائف الغدد الصم والعمر المديد ..

وبعد النظرية الجرثومية ، نسمع بالنظرية العصبية التي ترى ان هذا المرض هو نتيجة اضطراب في اعمال الجهاز العصبي المركزي ..

ثم نسمع ايضا بالنظرية الجنينية التي تتحدث عن بقاء آثار من نسج الجنين في جسم المولود ، تتطور فيما بعد لتكون سرطانا خبيثا اذا ما وجدت العناصر المساعدة لذلك.

وتقرأ الكثير عن النظرية الهرمونية التي تضع السبب في الغدة النخامية .. والغدة النخامية هي احدى الغدد الصم الرئيسية وتقع في قاعدة الجمجمة .. وقد تم احداث سرطان تجريبي في الحيوان اثر اعطائه مادة (مثيل كلورانتين) في العضل واتضح ان هذا السرطان لم يظهر حين نزعت الغدة النخامية وهذا ما يثبت دور الغدة الاكيد في المرض الا انه ليس لها كل الدور في مشكلة السرطان .

والامر المتفق عليه حاليا ان افرازات الغدد الصم في الرجال والنساء كافرازات الخصيتين والمبيضين تؤثر كثيرا في وقف نمو السرطان ، وقد تم اثبات ذلك لدى الانسان كشكل مؤكد في كثير من الحالات المرضية السرطانية وعلى

بحث الشهر العلمي

الاخص في سرطان الثدي لدى النساء وفي سرطان الموثة اي البروستات لدى الرجال .

ومن النظريات الحديثة ، النظرية الغذائية التي تقول ان اضطراب الشحميات في الدم والنسج يؤثر في حياة خلايا جسم الانسان ، وان هذا الاضطراب يعود الى النسبة في الدم بين الشحميات الحامضة والشحميات القلوية .. وهذه النسبة تكون في حد يتناسق مع حاجات الجسم البشري ، فاذا اضطربت النسبة باتجاه الحامض او باتجاه القلوي كان الانسان عرضة لاعراض مرضية عديدة، ولوحظ على الاخص انه في مرض السرطان تضطرب هذه النسبة كثيرا .

ومن هذا استنبط الباحثون ضرورة العمل على اعادة التوازن بين الشحميات الحامضة والقلوية لدى كل مريض مصاب بالسرطان ، وذلك باعطاء الشحميات الحامضة اذا ما اضطرب التوازن في صالح القلوية ، واعطاء الشحميات القلوية اذا ما كانت النسبة في تجاه الشحميات الحامضة .

ويؤكد الباحثون ان فائدة مثل هذه المداواة تظهر بسرعة في معالجة آلام السرطان التي قد تقاوم كافة المخدرات .

ومن احدث النظريات ، نظرية نقص الاكسجين القائلة بأن نقص الاكسيجين في بعض اعضاء الجسم وانسجته يؤهله لنمو السرطان فيه . فاذا ما حدث اضطراب موضعي في دوران الدم فان ذلك يؤدي الى نقص موضعي في كمية الاكسيجين كما يتضح ذلك من تحول الاعضاء الضامرة او نمو سرطان على جلد كان قد اصيب بحرق ثم شفي .

وفي السنين الاخيرة بدأت الاوساط الطبية الاميركية تبحث اثر الهواء المستنشق في نمو السرطان فاتضح لها ان هواء المدن المشحون بغازات الفحم او البترول مسؤول عن تكاثر السرطان في المراكز الصناعية الكبرى .. وقد سبق للطب التجريبي ان اثبت منذ سنين عديدة تكون السرطان لدى الحيوان بواسطة مواد كيميائية مستخرجة من البترول .

ولوحظ ان الغازات التي تنطلق من استعمال بنزين السيارات في المدن الكبيرة تغير في طبيعة الهواء المستنشق وتؤثر في ظهور سرطان الرئة الذي تكاثر في الربع القرن الاخير ..

ونتطرق اخيرا الى نظرية الاشعاع التي تلقى بعض التأييد فاذا ما تلقى الانسان كميات لدى البعض من مرضى السرطان المرئية فانه قد تظهر اصابة سرطانية في دمه في حين من الاحيان .. وسرطان الدم لدى من يعمل طويلا على الاشعة .. معروف في اكثر البلدان ويسمونه بالسرطان المهني .

وتعدد النظريات في السرطان يعني ان هنالك اشياء مجهولة ما زال يفتقر الى معرفتها الطب الحديث ، وهذا ما يجعل انذار هذا المرض صعبا . وقد لوحظ ان انذار المرض لدى الشباب المصابين بالسرطان اكثر هولا من انذار هذا المرض لدى المسنين الذين يتحملون آلامه عدة اعوام . في حين ان الفتيان المصابين به يدركهم الموت في بضعة شهور على الرغم من معالجته عاجلا .

وخطورة السرطان تتجلى في انواعه العديدة وفي انتشاره السريع غير المحدود ، ومن الممكن ان يصيب السرطان أي عضو من اعضاء جسم الانسان دون اي تمييز فقد يصيب الوجه ، كما يصيب اعضاء جهاز الهضم ، وقد يصيب العظام .. كما يصيب الرئة والاحشاء وتختلف نسبة اصابة كل عضو عن بقية الاعضاء ، فيكثر سرطان الموثة أي البروستات لدى الشيوخ ويكثر سرطان الرحم وعنق الرحم لدى النساء ويكثر سرطان الخصية لدى الشباب ويكثر سرطان الدم لدى الاطفال . ولوحظ ان سرطان القلب نادر جدا ولم يذكر الادب الطبي عنه الا القليل .

اما انتشار السرطان فهو الذي يخافه ويخشاه الطبيب المداوي ، اذ يحمل اليه اشد انواع التعقيد وابعد حدود الخطورة ، وقد يبدأ السرطان في احد الاحشاء ليوزع خلاياه الخبيثة فيما بعد في مختلف انحاء الجسم فيقف الطبيب حائرا امام مريضه التعس الذي يعاني آلام عدة سرطانات في وقت واحد ، تفتك به وتحمل اليه نوعا من انواع الموت البطيء. ويتوزع هذا المرض وينتشر عن طريق الانسجة والاوعية اللمنفاوية المتوزعة في انحاء الجسم او عن طريق الدم .

لهذا كانت غاية مؤسسات مكافحة السرطان هي تشخيص المرض في اللحظة التي يبدأ بها الشك وذلك عن طريق الفحص النسيجي بالمجهر وبمساعدة الفحوص السريرية والفحوص الشعاعية .

وفي السرطان شفاء .. وتقدر الاوساط الطبية الباحثة نسبة هذا الشفاء بـ ٥٠ بالمائة في ما اذا تم التشخيص في دور السرطان الاول الباكر ، ويظن العلماء الباحثون انه قد يأتي اكتشاف دواء شاف للسرطان قبل اكتشاف سبب السرطان وهم يؤكدون انه لا بد للعلم من ان يبلغ هذه المرحلة الايجابية فيقدم معونة جديدة في صراع الانسان لكسب الحياة .

اما اسس المعالجة في السرطان فتعود الى اتجاهات ثلاث : المعالجة الشعاعية والمعالجة الجراحية والمعالجة الدوائية .

ولتطبيق الاشعة على السرطان محاذير محدودة هي بأية حال اقل بكثير من انتشار السرطان نفسه ومن هذه التهاب الجلد او ظهور اضطرابات هضمية الا ان المداواة الشعاعية تفيد كثيرا في سرطانات الجلد والثدي .

اما استعمال المواد المشعة في ابادة السرطان فيلجأ الى استعمال الراديوم او الكوبالت وما زال الراديوم من اقوى المود في محاربة امتداد السرطان في جسم المريض وعلى الاخص في سرطان عنق الرحم وهو يعين على ايقاف انتشاره وتوسعه في الجسم .. على ان اطلاق استعمال (الكوبالست)

فتح افقا جديدا في مداواة السرطان لشدة فعاليته ولقلة محاذيره ، في حين ان الاشعة والراديوم يختصان بمحاذير عديدة . والفرق بين الاشعاع الذري للكوبالست والاشعة غير المرئية اي اشعة × هو ان ذرات الكوبالت اقوى نفوذا الى السرطان واشد فتكا بخلاياه . كما ان الكوبالت لا يؤذى جلد المريض او العظام المجاورة للسرطان على نحو ما نرى في اشعة رونتجن .

واذا كانت اشعة الراديوم قوية الفعالية ، الا ان اشعاع الكوبالت هو أكثر تجانسا وانتظاما من اشعاع الراديوم وهو ما يجعل نتائجه افضل من نتائج الراديوم .

هذا وينتظر من تقدم الطب الذري تطور بعيد في مداواة السرطان .

وفي كثير من حالات السرطان ، لا بد من الرجوع الى الجراحة لاستئصال المرض. وقد يحتاج المريض فيما بعد الى مداواة بالاشعة .. الا ان المداخلة الجراحية لا بد منها في اكثر انواع سرطانات البطن كالمعدة والامعاء .. ولقد ادركت الطريقة الجراحية كثيرا من النتائج الايجابية في حالات السرطان الصغير الذي لم يتعد دوره الاول الباكر. اما الاتجاه الثالث في معالجة السرطان فهو اعطاء ادوية تمنع امتداد المرض، واعطاء الهرمونات اي خلاصات الغدد الصم في سرطان الثدى لدى المرأة وفي سرطان الموثه لدى الرجل يفيد كثيرا في ايقاف انتشار السرطان كما ان اعطاء دواء (مركابتو بورين) في حالات ابيضاض الدم اي سرطان الدم يقدم ثلاثين بالمائة من النجاح . واذا علمنا ان هذا النوع من السرطان هو من اسوأ الانواع ادركنا ان اي نجاح جزئي او كلي يشكل نتيجة ملموسة هي في الواقع عون للطبيب في اطالة حياة المريض المصاب.

وقد يلجأ الطبيب في كثير من حالات السرطان الى جمع اكثر من اتجاه واحد في المداواة ... فتساعد ادوية الهرمونات مداخلة السرطان الجراحية على اعطاء نتيجة افضل او تقدم الاشعة الدور التحضيري لاجراء المداخلة الجراحية او يعقب المداخلة الجراحية معالجة بالاشعة .. ولكل نوع من السرطان ترتيب خاص تجمع فيه أولا تجمع هذه الطرق الثلاث .

من خلال كافة هذه المحاولات التي يشق خلالها العالم الطبي طريقا له لتقديم افضل الثمار في مكافحة السرطان ، ندرك ان الفشل ما زال يلازم العلماء الاطباء في اكتشاف حقيقة هذا المرض . وما كافة هذه الطرق الجديدة سوى محاولات لايجاد وضع افضل مما عرفه مرض السرطان حتى الآن .. وما زالت الدلائل العلمية تثبت ان معركة السرطان لم تنته بعد .

دمشق — منذر دقاق

نحن ندلك على أحسن الكتب

هل اشتريت نسختك من هذه الكتب لتقرأها او لتهديها لاولادك او لاخوانك كأحسن ما تكون الهدية ؟ اذا كنت لم تشتر للآن فسارع قبل نفاذ النسخ

تاريخ الامة العربيه

اصدق رواية لتاريخ أمتك وبلادك صدر فى ثلاثة اجزاء

١ـ عصر الانبثاق

تاريخ العرب قبل الاسلام

٢ـ عصر الانطلاق

القسم الاول : سيرة الرسول العربي وظهور الاسلام

٣ـ سيرة الخلفاء الراشدين

القسم الثاني من عصر الانطلاق

ابو بكر ــ عمر ــ عثمان ــ علي

بقلم الاديب الكبير الدكتور
محمد اسعد طلس

*

رواية ابن حامد أو

سقوط غرناطة

صفحة رائعة من صفحات النضال العربي المشرق فى الاندلس ، آخر ايام ملوك بني الاحمر
بقلم الشاعر الخالد فوزي المعلوف

*

مذكرات جريح

كتاب كتب كعزاء لكل المعذبين فى الارض
بقلم الشاعر الكبير بولس سلامة

منشورات دار مكتبة الاندلس ــ بيروت